Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم ما يلبث أن يتحول هذا الزمان الجميل البريء، بين يدي الشاعر، إلى بركان من الغضب الساطع أو قل إلى «قنبلة» ينبغي لها أن تنفجر في لحظة واحدة دفاعاً عن ذلك الماضي بكل ما يحمل من أفكار جمالية وقيم إنسانية خالدة. ومن هنا، فقد ظهر محمد في كل مكان، وفي كل المفارقات: «في الرغبة والحرمان» في «الذكرى والنسيان» في «الحجة والبطلان» في «صباه وضياع صباه».

هذه المفارقات هي التي دفعت الشاعر إلى طلب المزيد من القوة، باستحضار صور البؤس التي عاشها البطل، في قوله:

اضرب بصباك العطشان
بإخوتّنا
بطفولتنا المظلومة
بأبينا المحتضر الأشيب
بالدرب الصاعد من منزلنا
حتى الصفصاف الملتف على وجه الترعة
حيث توضأنا في الظهر وصلينا
وغمسنا في الشمس الملتهبة في الماء
نشوتنا الأولى الخضراء الحمراء!

وهكذا تتقدم القصيدة خطوة أخرى نحو نهايتها «الجنائزية» إذا جاز هذا التعبير، لينتهي الزمان الحاضر بخوفه ورعبه، أو قل ليحيا الزمان المراد ويموت الزمان المعيش، حتى لو مات محمد فالموت في هذا الموضع حياة، ومن الموت